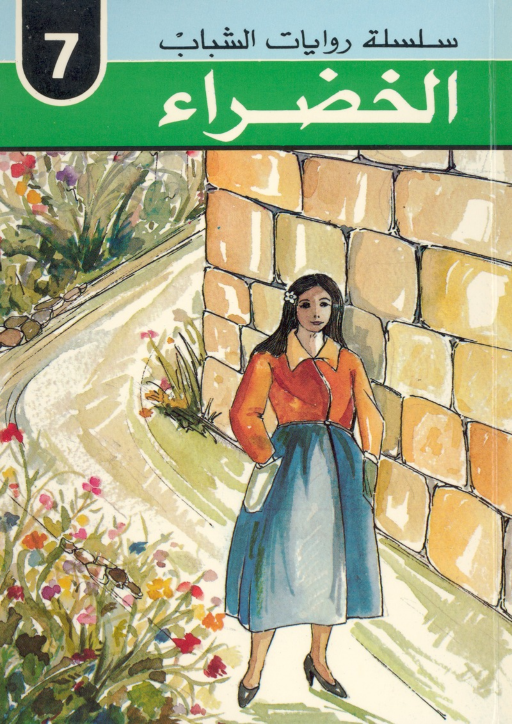
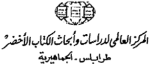

7
سلسلة روايات الشباب
الخضراء



سلسلة روايات الشباب 7

الخضراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى
1988 م.

هاتف: 40705 - 45565 ـ مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 ـ طرابلس ـ الجماهيرية

تحـول زواج خالـد من وضحا إلى حكاية على كل لسان فى الخضـراء، وضحا التى أصيبت بمس من الجنون أفقـدها رشـدها وخـالـد الـذى أصيب برصاصة أدَّت إلى شلله تقول الحكاية:

أول ما تذكرته وضحا بعدما عاد إليها رشدها أولئك الذين ذبحوا أخاها أمام ناظريها، تذكرت صورة مرتكب الجريمة الذى يعرفه جميع أبناء الخضراء، لكنها

لم تستطع تذكر اسمه، عدَّد لها والدها أسماء من يشتبه بأنهم نفذوا الجريمة. لكن جوابها كان النفى... نامت وضحا فى ساعة متأخرة على غير عادتها، وما أن أغمضت عينيها واستسلمت للنوم حتى بدأت تصرخ: أتركه يا سافل إنه طفل، لماذا تقتله يا سافل؟ أقتلنى ودع أخى حياً...

عرف والد وضحا من الذى قتل ابنه الوحيد... أفاقت وضحا مرعوبة باكية وقالت: عرفته يا أبى، إنه السافل والسافل لقب أطلقه أهالى الخضراء على رجل عُرف بانحطاطه الأخلاقى، قال والد وضحا وهو يحدث نفسه: خالد مظلوم ووالده وابنى وغيرهم جميعهم قتلوا نتيجة الفتنة التى زرعها بيننا أبو الذهب، رحمك الله يا محمود لقد قلت لى ذلك لكننى لم

أصدِّق. . . مشى والد وضحا ناحية النافذة التى تطلُّ إلى بيت خالد فتحها فرأى خالداً واقفاً فى النافذة المقابلة، فتابع حديثه بقوله: أنت برىء يا خالد من دم ابنى وأنا برىء من دم أبيك، قال هذا الكلام لنفسه ثم أخذ مسدسه ووضعه فى وسطه وخرج. . . قاصداً بيت السافل.

* طق. . . طق. . . طق. . . ضرب حميد الباب بعصبية.

* من فى الباب؟ سأل السافل.

لم يجب حميد بكلمة بل ضرب الباب برجله ففتح على مصراعيه، وعاجل السافل بطلقات عدَّة أصابته فى أماكن من جسده، حدث ذلك أمام زوجة السافل التى بدأت بالصراخ. . . لم يعرْ حميد أى انتباه لصراخ زوجة السافل، وكل ما قاله

لرجل حاول اعتراضه: لماذا فعلت هذا يا حميد، لماذا قتلت السافل؟ فأجابه حميد: ثأرت لدم طفلى الوحيد...

سار حميد باتجاه بيت خالد، طرق الباب، وكانت المفاجأة: خالد نفسه فتح الباب، خالد المشلول الذي لم يكن يستطيع الوقوف. فرك حميد عينيه وقال محدثاً نفسه: يا إلهى ماذا يحدث؟ هل أنا فى الحلم أم فى اليقظة؟ خالد ووضحا شفيا فى يوم واحد، إنها إرادة الحياة، الحب أقوى من الموت. صمت لحظة حتى عاد إليه رشده وقال لخالد: الحمد لله على سلامتك يا خالد: أجاب خالد: والشكر لله على سلامة ابنتك وضحا يا عمى حميد...

كان أخوة خالد يقفون صامتين حيال ما

يجرى أمام أعينهم، لكن حميد قطع الصمت عندما أمسك بمسدسه وناوله لخالد قائلاً: أقسم بالله العظيم وشرفى أننى برىء من دم أبيك. كما أنت برىء من دم ابنى وإن كنت لا تصدق كلامى فهذا مسدسى: خذ بثأرك منى.. عرفت قاتل ابنى الوحيد وأخذت بثأرى . إنه السافل يا خالد، هو القاتل وأنت الذى دفعت ضريبة الدم...

كان المنظر مؤثراً بالنسبة لخالد وأخوته فقالوا بصوت واحد: أنت برىء سامحك الله منذ وصلت بيتنا ثم أننا كنا نعرف أن هناك من يريد الإيقاع بيننا... قال حميد: من الغد سنكون أنسباء وتعود الأمور كما كانت عليه في السابق.

فى ظل حكم الشعب لنفسه تحولت

الخضراء إلى واحة من العشق، عشق
النـاس لأرضهم، وأشرقت شمس كـل
صباح على حكاية حب جديدة، استمر
عرس خالد ووضحا شهراً كاملاً، عادت
خلاله روابط الصداقة بين الشباب والصبايا.
تلك الروابط التى قطعتها سياسـة أبى
الذهب ومرشد. وتحولت لغة الشباب إلى
قاموس من العبارات الغزلية... بعض
شباب الخضراء خافوا هـذه الظاهـرة.
وقالوا: ليس بالحب وحده تحيا الشعوب،
والحب والصداقة لا يستمران إن لم يقوما
فوق أرض صلبة... وهى تعميق تجربة
حكم الشعب فى الميادين كافة عن طريق
المؤتمرات الشعبيـة واللجـان الشعبيـة
والسيـطرة من قبل الشعب على كـافة
الإدارات التى ورثنـاهـا من دولـة أبى
الذهب، حيث ما زال الفساد والسوس

ينخـر فى جسم تلك المؤسسات. . .
خاصة وإن أبو الذهب ومرشـد لم يستسلما
وقد يكون خلافهما مفتعل للانقضاض من
جديـد على المكـاسب التى حققهـا
الشعب. . . هذا ما كان من أمر أهالى
الخضراء. فماذا كان من أمر أبو الذهب
ومرشد.

* * *

فى لحـظات حـاسمـة من تـاريـخ
الخضراء، ظهر مرشد مكرهاً فى الإذاعة
المرئية وأعلن استقالته فى بيان هذا نصه:

يا أبناء الخضراء. إننى متضامن مع
ثورتكم الشعبية، فأنا واحد منكم ومن أبناء
الفقراء فى الخضراء، كان والدى عاملاً
فى مصنـع الأحذيـة الذى يملكـه أبـو
الذهب، وأنا عملت فى المصنع نفسه

أيضـاً، وكـانت أمى خـادمـة فى بيت مرتزق. . . مات والدى لأنه لم يكن يملك ثمن الدواء. وظلَّت أمى تعمل فى خدمة أبى الذهب حتى أدركها الموت. . . كنت معكم فى معركة ـ شركاء لا أجراء ـ وفى معركة البيت لساكنه، وعندما رأى أبـو الـذهب إخلاصى فى العمـل اختارنى لأكون مديراً لأعماله. . . لم أخن طبقة الفقـراء، والكادحين لحـظة واحدة فى حياتى وبإمكانكم التأكد من ذلك. فأنا من ساعد خليل وأعطاه المال للوصول إلى مقعـد النيابـة، لم أكن خائنـاً لطبقتى الفقيرة. لكن أبا الذهب غرَّر بى، وعلى هذا الأساس فإننى أتقدم باستقالتى من رئاسة مجلس النواب ناذراً نفسى للعمل فى صفوف الفقراء والكادحين. . . كما أننى أريد أن أؤكد لكم بـأننى لست

مسؤولاً عن كل الجرائم التى حصلت فى الخضـراء، وسأكشف لكم المسؤولين عنها لاحقاً؛ عشتم وعاشت الخضراء.

بعد ساعة من إعلان مرشد لاستقالته ظهر أبو الذهب فى الإذاعة المرئية وأذاع البيان التالى: يا أبناء الخضراء... تحيتى لكم، كم من مـرَّة اعترفت بـأخـطائى أمـامكم، وكم من مـرَّة قبلت منكم الإهانات. قلتم شركاء لا أجراء وقبلت بشعـاركم هـذا وقلتم البيت لسـاكنـه: فرضيت بهذا القول. ثم قلتم الأرض لمن يزرعها فلم أمانع وأعـطيتكم الأرض، ولكى أكفِّر عن أخطائى السابقة أغدقت المال على الكثيرين منكم وخاصة الفقراء الذين يتحدث باسمهم مرشد. هذا الناكر للجميل والذى لا يحفظ حقَّ نعمتى عليه. لقد فعل ما أراده. إنه المسؤول عن تزوير

الانتخابات، والدليل على ذلك اعترافه بأنه ساعد الفقراء والكادحين... ومن يدَّعون بأنهم أبناء الطبقة العاملة. لذلك فإننى أعلن حلَّ المجلس النيابى لأنه جاء نتيجة انتخابات مزورة كما أتقدم باستقالتى إلى شعب الخضراء.

بعد ساعة من بيان أبى الذهب كان أحد أبناء الخضراء ممن اختيروا للإعلام يذيع على شاشة الإذاعة المرئية البيان التالى:

يا أبناء الخضراء... يا شعب الخضراء... يا من تحكمون أنفسكم بأنفسكم، ليس صحيحاً ما قاله مرشد ولا ما قاله أبو الذهب، مرشد وأبو الذهب يريدان الالتفاف على ثورتكم الشعبية، إنهما يتوزعان الأدوار، ويتعارضان ليلتقيا

وليكون كل منهما فى موقع ما من السلطة. حتى وإن كانا حقاً مختلفين إنهما يريدان النفاذ إلى السلطة، يريدان إلغاء سلطة الشعب، لا تصدقوا مزاعم أعداء الشعب، حتى ولو أضاءوا أصابعهم مصابيحاً فى سبيلكم... كونوا على حذر مما يحاك ضدكم من مؤامرات، حافظوا على وحدتكم الشعبية ولا تنزلقوا فى الخلافات التى لا تعود عليكم وعلى إنجازاتكم إلا بالخراب... لا تصدقوا مزاعم أعداء الشعب.

عشتم وعاش حكم الشعب فى الخضراء..

* * *

كان للسافل أقرباء ممن ثاروا على دولة أبى الذهب ومرشد، لكن الطريقة التى

قتل بها السافل أثارت غضبهم ورأوا أن
تصرف حميد إنفعالى ولا يقوم على أى
قدر من العدالة وأنه كان من واجب حميد
أن يطرح قضية السافل أمام محكمة شعبية
ليكون الحكم صادراً من الشعب وليس من
قبل الفرد، ثم إن البعض منهم شكك فى
صحة شهادة وضحا بنت حميد وقال:
وضحا فتاة ناقصة عقل وهل تكفى شهادة
فتاة مجنونة لتنفيذ حكم الإعدام برجل قد
يكون بريئاً.

أحس أبو الذهب أن هذه القضية نزلت
عليه من السماء، فصبَّ الزيت فوق النار،
وفى اليوم التالى لمقتل السافل تلقى أقاربه
اتصالاً من مجهول قال: إن قريبكم كان
ضحية المصالحة بين عائلة محمود وحميد
وإن المجرم الحقيقى رجل متخفى لا يعرفه

غير السافل، وقد قتل السافل ليدفن السر معه.

كان أقرباء السافل قد نبذوه عندما كان حياً بسبب أخلاقه السيئة، لكن تصرف حميد ودخوله حيّهم ليقتل السافل أمام زوجته وأطفاله أثار فيهم الحميَّة والامتعاض وبقيت النار تحت الرماد... في اليوم التالي لدفن السافل حضر أبو الذهب ليقدم التعازي لأولاده وأقاربه. قال أبو الذهب بعدما قدَّم لكلامه عن الشهامة العربية وكرى الضيف ونصرة المظلوم وحماية الجار:

«حرب البسوس قامت بين أبناء القبيلة الواحدة من أجل ناقة، وهناك حروب قامت من أجل أمور بسيطة وفقيدكم (لم يقل السافل) مهما تكن الظروف والأمور

هو إنسان وكان يجب عليكم أنتم أقاربه أن لا تقفوا هذا الموقف من اللامبالاة. لأن ما حصل يمثل خطراً على العادات والتقاليد والقيم التى ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، تلك القيم التى نشأنا عليها... والعملية التى تمَّ فيها اغتيال الرجل ليستَ موجهة ضد شخص بعينه، بل هى موجهة ضد الجماعة وقيمها. وأضاف أبو الذهب بعدما وجد من يصغى لكلامه: قلتم أنكم تريدون حكم الشعب وليس حكم الشخص الواحد، رفضتم الانتخابات وقلتم «الانتخابات تدجيل» فهل صدر قرار إعدام السافل من الشعب، أم من فرد أقدم على قتل إنسان ظلماً، ما هى الدلائل التى تثبت أن السافل هو الذى قتل ابن حميد...».

بعد أيام تلقى حميد اتصالاً هاتفياً من

مجهـول قال فيـه: إن أقارب السـافل عازمون على الأخذ بالثأر وعليك أن تكون على حذر يا حميد، سأل حميـد من المتكلم فلم يلقَ جواباً. . . قطع الخط.

وبعد الهاتف المجهول كان حميد يمر فى ساحة الخضراء والتقى صدفة بشريف أحد أقاربِ السافل فبادره حميدٌ بالتحية، لكن شريفاً أشاح بوجهه عن حميد وأسرع الخطى بعدما تمتم بكلمات وبصق على الأرض. طار صواب حميد من حركة شريف فركض باتجاهه حتى حاذاه وقال له:

* لِمَ لم ترد التحية بمثلهـا، أم أنك غـاضب بسبب موت وبـاء عـائلتكم السافل، كان عليكم أن تدفعوا لى ثمن الرصاصات التى أطلقتها على السافل، لأننى بذلك غسلت عاركم قبل أن آخذ

بثأرى... أجاب شريف بلهجة لا تخلو من السخرية:

* بل غسلت عارك يا حميد، بأن قتلت السافل ظلماً وزوجت السافلة لخالد... كانت هذه العبارة كافية لأن تفقد حميد صوابه فوجه صفعة قوية إلى شريف ردَّها الأخير بمثلها. واشتبك الرجلان بالأيدى على مرأى من الناس فى ساحة الخضراء... تدخل بعض الرجال وفكّوا الاشتباك بين الرجلين اللذان ذهبا كلّ فى طريقه متوعداً الآخر... كان حميد يرد بصوت عالٍ:

لست نادماً على قتل السافل
ولو عاد حياً لقتلته مرة ثانية، وثالثة ورابعة
أقتله لأقتل كل الرذائل

مرَّة أقتل الخسَّة، ومرَّة أقتل اللؤم
مرَّة أقتل الغدر ومرَّة أقتل العمالة

سأقتل كل من يمت بصلة لصفات السافل.

لكن العبارة الأخيرة وصلت إلى أقارب السافل وأبنائه ناقصة: لقد قال ناقلها: أقسم حميد على قطع دابر كل من يمت بصلة للسافل، بل قال سأقتل كل من يمت بصلة للسافل.

أما آخر عبارة سمعها حميد من شريف فقد كانت:

أنتم أساس كل فتنة فى الخضراء، أما العبارة فكانت: أنت يا حميد أساس الفتنة إن حصل شىء فى الخضراء.

عاد الهاتف المجهول لزرع الفتنة فى الخضراء:

* كن على حذر يا حميد. خلٍّ يدك على الزناد. هناك من يريد اغتيالك. . . وفي اليوم التالى نفسه سمع شـريف من الهاتف المجهول العبارة نفسها:

* كن على حذر يا شريف. خلٍّ يدك على الــزنــاد. هنــاك من يــريــد اغتيالك. . .

* * *

قام مرشد بزيارة سريَّة لحميد فى ساعة متأخرة من الليل كى لا يراه أحد، وقد جاء متنكراً بزى أحد الدراويش، طرق باب حميد، وعندما فتح الباب أزاح مرشد القناع عن وجهه ونزع لحيته المستعارة وبادر حميد بالقول:

جئت متنكراً كى لا يرانى أحد، وسبب زيارتى هام جداً، لكننى قبل أى حديث

أريد أن تعطيني كلمة شرف بأن لا يعرف أحد بزيارتي هذه وحتى أقرب المقربين إليك وخصوصاً صهرك خالد. أجاب حميد: أقسم بشرفي في أن لا أبوح بسر هذه الزيارة لأي كان. قال ذلك وأغلق الباب... أطرق مرشد لحظة وقال: علمت من رفاقي الذين يعملون مع صهرك خالد في المصنع بأن راصد بن شريف هدَّد خالداً وأسمعه كلاماً نابياً وقال له: دم قريبنا لن يذهب سدى. والإهانة التي وجهها عمك حميد لأبي سيدفع ثمنها غالياً. أخبر عمك بذلك وقل له أن لا ينام على حرير ويظن أننا تناسينا ما حصل بفعل مرور الزمن، وتابع مرشد حديثه قائلاً لحميد: لا بدَّ أن صهرك خالد قد أخبرك بهذا الكلام أجاب حميدٌ بدهشة: لم يقل لي خالدٌ شيئاً من هذا...

ضحك مرشد بخبث وأضاف: على أى حال هذا بعض ما قيل. وإن كنت لا تصدقنى فهذا دليلى على ذلك، ثم مدَّ يده إلى جيبه ودفع بشريط كاسيت مسجل إلى حميد وقال له: اسمع هـذا الشريط، اسمعه فيما بعد، ففيه من الكلام الجميل الذى أخجل من قوله، والشريط ليس مهماً الأهم هو ما سأقولـه لك حـافظ على أعصابك يا حميد. . . ثم سكت لفترة جعلت حميداً يقطع أنفاسه ويقول بصوت منخفض إنمـا بعصبية مكتـومة: تـابـع حديثك يا مرشد. . . قال حميد بصوت لا يكاد يُسمع مما اضطر حميد تقريب أذنه من فم مرشد:

أبو الذهب يقـوم بتحريض شـريف وأقاربه ضدك، البارحة قدَّم لراصد بن شريف سلاحاً وذخيرة واختلى به ساعة

كاملة. وقد تردد اسمك مراراً خلال هذا الاجتماع هذا ما أخبرنى به أحد رفاقى... لم ترق كلمة «رفاقى» لحميد فهو لم يسمع هذه الكلمة من قبل، فانتفض متسائلاً: من هم رفاقك يا مرشد؟

أجاب مرشد بحزم: كل الذين يملكون القناعات نفسها هم رفاق... وأضاف: أنا مع قناعاتك بموقفك من السافل وابن عمه شريف. أنا مع قناعاتك بضرورة قتل هذا الفاسد الشرير المجرم. وأنا مع قناعاتك بضرورة التكاتف فى وجه العادات القبلية الفاسدة. أنا مع قناعاتك عندما ذهبت إلى بيت محمود وطلبت الصلح من أبنائه بعدما عرفت عدوك قاتل ابنك الوحيد... عندما نمتلك نفس القناعات ونعمل فى سبيل تحقيقها نكون رفاقاً. أطرق مرشد لحظة وكأنه نسى شيئاً

كان يريد قوله وتابع حديثه: يا رفيق حميد علينا أن نقف صفاً واحداً في وجه أعدائنا. سأل حميد: ومن هم الأعداء الذين تتحدث عنهم يا أخ مرشد. امتعض مرشد من كلمة أخ . وقال لحميد: أرجوك أن تخاطبني بعبارة يا رفيق. . .

* وما الفرق بين الأخ والرفيق يا مرشد.

* هناك فرق كبير، ستعرفه فيما بعد. . . لكن الأعداء الذين تسأل عنهم ليسوا من رفاقنا. أهدافهم تختلف عن أهدافنا، أراؤهم تختلف عن آرائنا وأفكارنا.

* * *

لم يستطع حميد أن يغمض جفنيه بعد سماع الكلام المسجّل على الشريط وما دار من حوار بين صهره خالد وراصد بن

شريف خلال المؤتمر الشعبى المهنى الذى اختير خالد لأمانته. . . قبل أن تعم الفوضى نتيجة الحوار العاصف الذى دار بينه وبين راصد وهذا نص الحوار:

راصد: أنا ضد تصعيد خالد لأمانة المؤتمر حتى ولو كان ذلك بالإجماع، فهو لا يتمتع بالصفات الأخلاقية، وأنا وأقاربى على خلاف معه وهو لا يمثلنا، لم ننس دمٍ قريبنا (لم يقل السافل) الذى سفك ظلماً.

خالد: إذا كان تصعيدى إلى أمانة المؤتمر سيؤدى إلى الانقسام فإننى أرفض تحمل مسؤولية أمانة المؤتمر وأنا أختار راصد ليكون أميناً للمؤتمر.

(أصوات) نرفض راصد ونصر على اختيارك.

(أصوات) ونحن نرفض خالد إذا كانت

القضية مسألة قرابة. نصر على راصد.

راصد: لم ننس ما قاله عمك حميد لوالدى يا خالد، تريدون اقتلاعنا من أرض الخضراء. لسنا طحالب. إن جذورنا عميقة ولن يستطع أحد اقتلاعنا... أخبر عمك بذلك ثم أنك وعمك حميد تتحدثان عن حكم الشعب. فبأى حكم تمَّ مقتل السافل، هل أحاله عمك إلى محكمة شعبية... كان المجرم فى دولة أبى الذهب يحال إلى محكمة علنية، ولا تصدر الأحكام إلَّا بعد توفر الأدلة، أما فى حكومة عمك فقد أصبحت الأحكام فوضوية تكفى فيها شهادة امرأة مجنونة. أعنى زوجتك وضحا، لقتل إنسان برىء.

خالد: لم يفكر أحد باقتلاعكم يا راصد، قال حميد بأنه سيقتطع كل

الصفات الدنيئة الموجـودة فى شخص السافل. ثم إنكم أنتم أقاربه نبذتموه. وكنتم تخجلون من التقرب منه، وقد قلتم مراراً إن دمه مهدور بالنسبة إليكم لأنه يسىء إلى سمعتكم جميعاً، يجب علينا أن ننسى خلافاتنا القديمة لنبنى مستقبلاً أفضل، ما زال عدونا أبو الذهب يتربص بنا الدوائر، إنه ينتظر لينقض علينا من خلال خلافاتنا، نحن أخوة يا راصد. السافل هو القاتل وقد نال جزاءه، مرشد نفسه قدَّم وثائقاً تثبت أن السافل هـو القاتل.

راصد: وأبو الذهب قال إن السافل برىء والقاتل هو أحد أقاربك، ثم إن حميداً دخل حيّنا من دون استئذاننا وقتل السافل أمام زوجته وأطفاله، ونسمعه يقول بأنه قتل الوباء وخلصنا من السافل، ومن

أراد أن يصلح الآخرين فعليه أن يبدأ بإصلاح نفسه وكان على عمك حميد أن يبدأ بوبائه وعاره فى بيته أعنى زوجتك السافـ. . . ومـن كان بيته من زجاج فلا يرمى بيوت الآخرين بالحجارة.

خالد: إحترم نفسك يا راصد. إحترم الحضور. اجتماعنا ليس لغايات فردية ولا لنبش خلافات الماضى لقد قتل والدى وآثرت نسيان هذه القضية حتى لا نقع فى مستنقع الخلافات القديمة التى لم نحصد منها سوى الخراب والدم والدمار.

راصد: كنت تعرف من قتل أباك يا خالد. لكنك بعت دم أبيك برغباتك بعته بوضحا وحميد باعك وضحا ليغسل عاره، ورقصتم فوق دم السافل. . .

خالد: أنت لا تعرف العيب، إلزم

حذَّك، هذا الكلام يسيء إليك أكثر مما يسيء إليَّ انظر إلى أخوتنا أنهم يضحكون من كلامك.

راصد: إنهم يضحكون منك وليس من كلامي. إنهم يضحكون من مروءتك المزيفه..

خالد: يضحك الجميع مني حالياً. لكنهم سيبكون عليك في المستقبل عندما يعرفون الحقيقة.

راصد: تهددني يا كلب...

قطع الحوار عند هذا الحد. واختلط الحابل بالنابل وعلت الأصوات وعمَّت الفوضى وانقسم الحضور... وكان صوت خالد مميزاً كان يصرخ بأعلى صوته:

أريد من أخوتي وأصدقائي التزام

الهدوء لا أريد من أحد الدفاع عنى. . .
المشكلة شخصية بينى وبين راصد، لا
تحولوها إلى مشكلة عامة.

قبل شروق الشمس طرق حميد بيت
صهره وكان خالد ما يزال نائماً وقال دون
مقدمات لماذا لم تخبرنى يا خالد؟ لماذا
تخفى ما يقال عنى؟ كيف قبلت هذا
السيل من الإهانات أمام أصدقائك؟ من
يكون راصد حتى تخافه؟ وإن أنت
كنت تقبل الإهانة لزوجتك فأنا لا أرضى
الإهانة لعرضى. . . قال لك راصد أخبر
عمك وكان عليك أن تخبرنى.

سأل خالد: ومن أخبرك بكل هذا. .
أجاب حميد: أخبرتنى العفاريت وأقسمت
بشرفى أن لا أبوح بالسر. . . ثم قذف
بشريط الكاسيت الذى يحمل وقائع الحوار

وقال لخالد: عد إلى سماع الإهانات التى وجهت إليك. فلعلك كنت أطرشاً عندما قيلت لك... أجاب خالد: كنت أخاف أن ينقسم الناس بين مؤيد لى ومؤيد لراصد، تحملت الكثير من الإهانات الشخصية فى سبيل وحدة الناس، لكن للأسف فقد كانت الغريزة أقوى من العقل وحصل الانقسام... البعض وقفوا فى صفى والبعض وقفوا فى صف راصد...

سرى الخلاف فى الخضراء كالوباء وعلى أساسه بدأت تطفو المشاكل القديمة... هذا مع شريف، وذاك مع حميد، وحتى البيت الواحد انقسم ساكنوه بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك...

* * *

فى ذلك المساء كان عبد الله بن شريف

على غير عادته عندما التقى سماح بنت حميد، فقد بدا مرتبكاً حائراً ولم يبادرها بخبر مضحك كعادته. حاول إخفاء حزنه بافتعال الفرح لكنه لم يفلح سألته سماح: ما بالك يا عبد الله، أنت على غير ما يرام. إنني أعرفك جيداً... تكلم ولا تخف عني شيئاً أجاب عبد الله: الأمور تسير عكس ما نشتهي يا سماح. أنا خائف من مستقبلنا، إن عاصفة ستعصف بالخضراء، أريد أن أقول لك سراً أرجو أن يبقى إلى الأبد. قد لا أراك بعد اليوم أقسمي بحبنا أنك لن تبوحي بهذا السر مهما حصل... قالت سماح: أقسم بالله وبحبنا النقي أن لا أبوح بهذا السر... تنهد عبد الله وقال: البارحة زارنا أبو الذهب مع زبانيته واجتمع بوالدي وأخوتي الكبار قاصد وجاسر وباسل كما استدعى والدي بعض الرجال



من عشيرتنا وأقاربنا وكان والدك محور الحديث... حاولت التدخل لكن الجميع وقفوا ضدى وقالوا لى: إنك لم تزل طفلاً. أخرج من هنا والعب مع الأولاد... لأنك أصغر من هذه الأمور المهمة... سألت بدهشة: وما هى هذه الأمور المهمة تكلم يا عبد الله!... أطرق عبد الله لحظة وأجاب: قد يكون لقاؤ نا هذا لقاء أخيراً، اخبرى والدك بطريقة ما بأن يكون على حذر. أنهم يريدون قتله إنهم سيقتلون حبنا يا سماح... أحبك ولا أريد أن أخسرك إلى الأبد...

لم تستطع سماح تمالك نفسها وأجهشت بالبكاء، بينما بقى عبد الله صامتاً، حاول تهدئتها فأمسك بمنديله ليمسح دموعها، لكنها دفعته بقوة وقالت له: لا تمدّ يدك إلىَّ يا ابن المجرم، قالت هذه

العبارة بعصبية وبصوت عالٍ : تسمر عبد الله في مكانه وقال بصوت يشبه الحشرجة : يا إلهي . . . هذا والدك يا سماح . . . ثم أطلق ساقيه للريح هارباً . . . نظر حميد إلى بنته سماح وقال لها : لو لم أر ما فعلت بعيني وأسمع ما قلت بأذني لقتلتك الآن . . . أعرف أن السفلة يريدون النيل مني بشتى الوسائل حتى ولو كان ذلك بالتغرير بفتاة بريئة مثلك يا سماح . . . لن يفلت من يدي شريف وأبنائه . . . لماذا كنت تبكين يا سماح، هل حاول الاعتداء عليك ابن الأنذال . . . ؟ قالت سماح : عبد الله شاب شريف يا أبي ، ولم تبدر عنه أي إساءة ، ثم روت له ما دار بينها وبين عبد الله من حديث . . . يريدون قتلك يا أبي وأجهشت بالبكاء من جديد . . .

* * *

إهدأ يا عمى حميد، لا تصدق مزاعم مرشد، إنه يريـد الإيقاع بيننـا ليحقق مآربه . . مرشد كاذب يا عمى، متى أصبح مرشد رفيقاً لك، هل تصدقه عندما يناديك يا رفيق. . . كان خالد يردد هذه العبارات وحميد مطرق فى صمت عميق ينظر إلى الأرض لكنه سرعان ما انتفض كالبعير الهائج وصرخ بأعلى صوته: سماح. . . تعالى بسرعة واحكى لصهرك ما قاله لك عبد الله بن شريف. . . روت سماح على مسامع أمها وأخواتها وصهرها خالد القصة من جـديـد. . . وعـادت لتجهش فى البكاء. . . قال خالد يخاطب نفسه: كان الذى خفت أن يكون. . . معك حق يا عمى حميد. . .

كان الجو عاصفاً فى تلك الليلة من شهر «فبراير» عندما سمع حميد حركة

تحت نافذته قال لزوجته إننى أسمع حركة غير عادية، أنصتت زوجته وقالت: إنه الهر يحاول الهرب من المطر أقفلنا باب الدار وبقى خارجه، عادت الحركة تعبث بالنافذة بشكل يثير الشك تناول حميد مسدسه من تحت الوسادة ومشى بخطوات حذرة باتجاه النافذة، ووقف منصتاً إلى ما يدور فى الخارج، بعدما أشار إلى زوجته بالتزام الصمت وعدم الحركة... سمع وقع خطى وبسرعة فتح النافذة على مصراعيها، أطلقت باتجاهه رصاصة أخطأته واستقرت على بعد بضعة سنتمترات من رأسه فى خشب النافذة، سدد حميد نحو النار... رصاصة اثنتان، ثلاث رصاصات... آخ قتلتني يا حميد... إنه صوت راصد بن شريف أشعلت زوجة حميد النور، أطل حميد من النافذة، أطلقت النار باتجاهه فأصيب

برصاصة فى رأسه قتلته على الفور، حدث ذلك خلال ثوانٍ معدودات أصيب قاصد فى ظهره لجهة القلب، وعندما عـاين الطبيب الجثة وجد أنها مصابة برصاص غيـر الرصـاص الموجـود فى مسـدس حميد... حميد أصيب فى رأسه لجهة اليسار إلى الجهة المعاكسة للمكان الذى كان متردياً فيه راصد.. وفى الرصاص نفسه الذى أصاب قاصد، القاتل واحد، والقتيلان بريئان... هذا ما قاله الطبيب الشرعى، لكن من يسمع صوت العقل فى وقت تثار فيه الغرائز...

تمَّ دفن حميد فى مأتم مهيب يتقدمه مرشد بعدما نعاه أهله (ورفاقه العمَّال) كما تمَّ دفن راصد فى مأتم تقدمه أبو الذهب ونعته عشيرته ورفاقه (الأحرار). كانت وضحا وأختها سماح تسيران خلف نعش

والدهما وكأنهما جثتان جاهزتان للدفن وكان عبد الله يسير خلف نعش أخيه وكأنه قبر يبحث عن ميت يرقد فيه... وكانت الخضراء تبدو مقبرة كل من فيها من البشر يبحثون عن أماكن لهم بين القبور...

قال أبو الذهب خلال تأبين راصد، هذا شهيد (الأحرار).

وقال مرشد خلال تأبين حميد، هذا شهيد العمَّال... وانقسم الناس فى الخضراء إلى حزبين حزب الأحرار وحزب العمَّال... ولم يكن الداعون إلى حزب الأحرار أحراراً، كان معظمهم عبيد السلطة والمال. ولم يكن الداعون إلى حزب العمَّال عمالاً بل كانوا من الانتهازيين الوصوليين... ولم تمض فترة حتى صدرت صحيفة الأحرار ورئيس

تحريرها «أبو الذهب» وصحيفة العمَّال ورئيس تحريرها مرشد. . . وفتح باب الصراع الحزبى على مصراعيه. . .

* * *

عانت الخضراء فى ظل الصراع الحزبى ما لم تعانى منه فى تاريخها الطويل، وعادت معزوفة الانتخابات وكان الحزب الفائز يمارس أقصى درجات الديكتاتورية على المعارضة وقد استطاع كل من أبى الذهب ومرشد من موقعيهما المتناقضين بالشكل فرض مبادئهم وأهدافهم على الشعب باسم البرامج الحزبية، لكنهما كانا دائماً فى موقع السلطة، ويتناوبان عليها. . . كانت نسبة كبيرة من أهالى الخضراء لا علاقة لها بحزبى الأحرار والعمَّال، وقد استطاع رؤساء

الحزبين تقسيم الناس تارة تبعاً للثقافة وتارة أخرى تبعاً للجهة... وقد كانت الصدامات الحزبية تبلغ حداً من السفاهة لا مثيل له، حتى أن الصدامات بلغت من القسوة ما لم تبلغه الصدامات القبلية التى عرفها أهالى الخضراء فى تاريخهم القديم...

وبدأت أشكال الصراع تصل إلى المؤسسات الإنتخابية حزب العمَّال الذى كان على رأسه مرشد رسم خططاً لتدمير إنتاج حزب الأحرار، إذ أن إنجازات حزب الأحرار كانت فى المجال الزراعى، وعندما وصل حزب الأحرار إلى السلطة عمد إلى تدمير الإنجازات الصناعية التى حققها حزب العمَّال، وهكذا تناوب الحزبان على الهدم والضحية هو الشعب... غابت الرقابة الشعبية فى ظل

النظام الحزبى، فالمجالس النيابية التى
انتخبت من أعضاء الحزب الفائز،
والسلطة التنفيذية الوزراء والمـ اء
والمحاكم من الحزب نفسه، أى أن الرقابة
من الحزب الحاكم، حزب السلطة
والسلطة من حزب الرقابة. . . وقد قال
أحد أبناء الخضراء مرَّة لصديقه: لقد
أصبح وضعنا كالمستغيث من الرمضاء
بالنار. . . وأصبح الشعب فى الخضراء
الضحية التى ترفع دعوة ضد الجلاد إلى
الجلاد نفسه. . . أعضاء الحزب كأبناء
القبيلة بل أن أبناء القبيلة أقل قسوة من
المنتسبين إلى حزب واحد. . . أجاب
الآخر: الحزب هو قبيلة العصر الحديث.
والحزبية هى التعصب الأعمى الذى يفوق
أى تعصب آخر. . . والمبدأ الذى
يحتكمون إليه هو أنصر أخاك ظالماً أو

مظلوماً. ولكن قد يكون معروفاً كيف
ينصر الأخ أخاه إن كان مظلوماً ولكن كيف
ينصره إن كان ظالماً؟!! وأضاف الرجل:
لكن الأحزاب تنصر الرفاق كيفما كانوا
ظالمين أو مظلومين سيان... حتى أنها
تدفعهم للتمادى فى ظلمهم، وهذا ما
يؤكد أن الحزبية أداة ديكتاتورية، ولكنها
ترتدى ثياباً عصرية، وفى داخلها كل
الديكتاتوريات البدائية والحديثة.

* * *

وزعت صحيفة كتبت على الآلة الكاتبة
فى الخضراء حملت عنواناً فى صفحتها
الأولى الحزبية إجهاض للديمقراطية،
والأحزاب لا تمثل الشعب، تحمس حزبا
الأحرار والعمَّال وطلبوا بمصادرة النشرة
وإلقاء القبض على المشرفين على طبعها
وتوزيعها...

قال أحد الشباب الذين ساهموا بتوزيع النشرة: هذه هى المرَّة الأولى التى يتفق فيها الحزبان على قضية واحدة... أجابه شاب آخر: إنهما يتفقان ضد مصلحة الشعب، إن ما ندعو إليه هو سلطة الشعب وليس سلطة الحزب... إنهم يخافون انتزاع السلطة من أيديهم.

وفى اليوم الثانى صدرت النشرة بعنوان: من تحزب خان... والحزبيون خونة... إنهم يحكمون كل الذين لا ينتسبون إلى أحزابهم من أبناء الشعب.

صدرت صحيفة حزب الأحرار تحمل عنوان: الفوضى تهدد الخضراء ظهور حزب الشعب، وفى اليوم نفسه صدرت صحيفة حزب العمَّال تحمل عنوان: المشاغبون ينادون بحكم الشعب، وفى

اليوم نفسه أيضاً صدرت صحيفة تحمل اسم الجماهير بعنوان «الحزب يمثل جزءاً من الشعب وسيادة الشعب لا تتجزأ».

«الحزب يحكم نيابة عن الشعب والصحيح لا نيابة عن الشعب».

الشعب مدعو إلى مؤتمرات شعبية لإعادة السلطة إلى أصحابها.

* * *

فى مساء اليوم نفسه كان أبو الذهب ومرشد يدخلان فى نفس الدقيقة إلى مركز بث المرئية ضحك أبو الذهب عندما رأى مرشداً وقال له: إننا نفكر بالطريقة نفسها يا مرشد جئت لتقدم استقالتك وتعلن حلَّ حزب العمَّال أليس كذلك؟ أجاب مرشد وأنت جئت لتعلن حل حزب الأحرار. . .

أطرق مرشد قليلاً ثم التفت إلى أبى الذهب وقال له: بماذا تفكر يا أبا الذهب، يـا أبى الـروحى، ألا تفكـر بشىء جديد. . . أجاب أبو الذهب: بالذى تفكر أنت فيه شخصياً ألفظ الحرفين الأولين وأنا أكمل لك. . . قال مرشد النـ. . . صرخ أبو الذهب قابات. . . النقابات يا مرشد إبدأ من الآن نحن متخاصمان إلى الأبد ولكن خصامنا لمصلحتنا نحن الاثنان. . .

***

فى المؤتمر الشعبى العام الذى اشترك فيه جميع أهالى الخضراء ما عدا أقلية حزبية ظلّت مصرّة على تمسكها بأحزابها، قـال أحد الحضـور ممن اندسـوا بين الجماهير الشعبية: سنعلن تأسيس حزب جديد الآن هو حزب الشعب فأجابه أحد الشباب: الحزبية إجهاض للديمقراطية

وتعدد الأحزاب لا يحل المشكلة بل يزيد من حدَّة الصراع على السلطة... وإن كنت تصر على الانتساب إلى حزب... فعليك بمرشد أو أبى الذهب... من تحزب فهو خائن...

وفى المؤتمر التقى عبد الله بسماح، نظر إليها، اغرورقت عينا سماح بالدموع وأجهشت بالبكاء، تذكر عبد الله لقاءه الأخير بها، تقدم نحوها أمسك منديله ومسح دموعها وقال: حاولت أن لا يحصل ما حصل، أنا لم أقتل أخاك أجابت سماح وأنا لم أقتل والدك ولا أخى قتله...

القاتل واحد والضحايا أبرياء... التفت عبد الله كان المتكلم خالد... لقد دفعت ضريبة الدم قبلك يا عبد الله.. أخوك وحميد قتلا من زارع الفتنة.

* هل تسامحينى يا سماح قال عبدالله
أجابت سماح: أحبك يا عبدالله ولكن
دعنى أفكر بالأمر...







المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - 45594
مبرق: 20032 - 20668 GREEN BOOK
ص . ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية